الفكر الاجتماعي عند المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ هـ)

د. مهدي صالح لفته م.م. اشواق كريم حسين
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية
m.mahde.salhi.lftyh@utq.edu.iq

الملخص:

مثل القرن الرابع الهجري والقرن التاسع الميلادي تحولا كبيرا في مجال المعرفة العامة والتدوين التاريخي بشكل خاص، أو في هذا العصر التاريخي ظهرت نخبة متميزة من المؤرخين كان لها أثر واضح في نقل الكتابة التاريخية من مسارها القديم. تتمثل في متابعة السير الذاتية والألغاز وعلم الأنساب والرحمة، وأهميتها للتعمق في استكشاف الظروف الاجتماعية. المجتمعات السياسية والاقتصادية وغيرها وخاصة الغرب. وظهره نتاج علمي متميز في هذا الجانب، مثلثه كتابات اليعقوبي (بعد ٢٩٢ هـ)، وابن رستة (٣١٠ هـ)، وابن خردبة (٣٠٠ هـ)، وابن الفقيه الحمداني (٣٤٠ هـ).) والطبري (٣١٠ هـ) وابن حوقل (٣٦٧ هـ) وغيرهم من كبار المؤرخين.

الكلمات المفتاحية: (الفكر، اجتماعي، المسعودي).

Al-Masoudi's Social Thought (346 AH / 957 AH)

Dr.. Mahdi Saleh Lafta Ashwaq Karim Hussein
Dhi Qar University / College of Education for Human Sciences

ABSTRACT:

The fourth century AH, the ninth century AD represented a major transformation in the field of general knowledge and historical codification in particular, or in this historical era a distinguished elite of historians appeared, who had a clear impact in transferring historical writing from its old path represented by following up on biographies, puzzles, genealogy and compassion, and with its importance to delve into the exploration of social conditions. Political, economic and other societies, especially the West. And its back is a distinguished scientific product in this aspect, triangulated by the writings of Al-Yaqoubi (after 292 AH), Ibn Rastah (310 AH), Ibn Khordadbeh (300 AH), Ibn al-Faqih al-Hamdani (340 AH), al-Tabari (310 AH), Ibn Hawqal (367 AH) and other senior historians

Keywords: (thought, social, Al-Masoudi)

تقديم

مثل القرن الرابع الهجري التاسع الميلادي تحولا كبيرا في مجال المعرفة العامة والتدوين التاريخي خاصة او ظهر في هذه الحقبة التاريخية نخبة فذة من المؤرخين كان لها الأثر الواضح في نقل الكتابة التاريخية من مسارها القديم المتمثل بمتابعه السير والمغازي والانساب والتراجم ومع اهميتها الى الخوض في استطلاع الاحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لدى المجتمعات الاخرى وخاصة الغرب[١]. وظهره نتاجا علميا متميزاً في هذا الجانب مثلثه كتابات اليعقوبي (ما بعد ٢٩٢هـ) وابن رسته (٣١٠هـ) وابن خرداذبه (٣٠٠هـ) و ابن الفقيه الهمداني(٣٤٠هـ) والطبري(٣١٠هـ) و ابن حوقل(٣٦٧هـ) وغيرهم من كبار المؤرخين.[٢]

ومن هذه المدارك تولدت لدينا فكره البحث عن اسباب هذا التحول والتنوع في مجال التعامل مع المعلومات التاريخية ضمن موضوع بحثنا (الفكر الاجتماعي عند المسعودي ٣٤٦هـ) محاوله بحثيه متواضعة استهدفت متابعه الفكر الاجتماعي الذي اتبعه هذا المؤرخ الكبير في استطلاع الاوضاع الاجتماعية الذي اتبعه هذا المؤرخ الكبير سواء في البلاد الاسلامي ام لدى الامم المجاورة للاسلام وكيف ظهرت في نتاجه التاريخية بهذه الصورة الموسوعية ، اذ ان استطلاع المؤرخ لما لدى المجتمعات الأخرى من طقوس وتقاليد وازياء وملابسهم لم يات عن طريق النقل او المحاكاة وإنما هناك رؤية اجتماعيه في ذهنية المسعودي دفعته لمتابعه هذا الجانب اليهم من التاريخ لاستكمال لوصفه المعلوماتية عن العالم[٣]، والإلمام اكثر بتاريخ الامم دون اللجوء الى متابعه الناحية العسكرية والجغرافية فقط .

ان الكتابة عند الفكر الاجتماعي عند المسعودي تلزمنا بالبحث عن تعاريف ودلالات الفكر والفكر الاجتماع عامه حتى نتمكن من متابعه مضمون ما ورد في كتابات المسعودي مع ما في مضمون هذا هي التعاريف .

اولا: الفكر لغة واصطلاحا

الفكر لغة اعمال الناظر او التأمل والتفكير في الشيء[٤]، وفي اصطلاحه ورد اكثر من تعريف، فقد عرف ابن سينا بانه حركه خاصة بالانسان تنتقل عن طريق العقل في اشياء معلومة الوصول الى معرفه اشياء مجهولة[٥]، بينما عرف بانه اجراء عمليه عقليه في المعلومات الحاضرة لاجل الوصول للمطلوب او حركه العقل [٦].

وذهب اخر في تعريفه انه ترتيب امور لتحصيل المجهول [٧] ،ولعله اكثر التعاريف انسجاما مع ما نبحث اليه في هذا البحث هو انه نشاطا معرفا يفضي الى تصورات ذهنيه يحملها الانسان عن واقعه تدفعه الى التأمل والتدبر وإدراك وتحليل ما يدور حوله من ظواهر واحداث[٨].

ثانيا مفهوم الفكر الاجتماعي :

لم نجد فيفي ما متوفر لدينا ان هذا الموضوع ما دليل على وجود تعريفا واحد وشاملا للفكر الاجتماعي و انما وجد التعاريف عدة تختلف عن بعضها في بعض الامور وتشابهت في امور اخرى ، فقد جاء في مفهومه انه صوره الكون او المجتمع المتكونه داخل عقل الفرد و هذه الصوره تدعى بالافكار و تظهر عند فحصها لبعض العناصر المستقلة عنها.[٩]

بينما ذهب الباحثين بان الفكر الاجتماعي نمط من الافكار يتبناها مجموعه من الافراد او المجتمعات لادارة شؤون المؤسسات وتنظيم الانشطة الاجتماعية[١٠]، واقترب هذا المفهوم تعريف احد الباحثين ومفاده ان الفكر الاجتماعي منظومة من

الافكار والعقائد موجودة في اسلوب كل فرد او مجموعه في اي مرحله من مراحل التاريخية من شانها ان تدفع الفرد او الجماعة الى التجانس بين النواحي الفكريه والاجتماعيه وغيرها(١١).

وواقعا الاختلاف مفهوم الفكر الاجتماعي عند البعض من الباحثين لم يشكل مانعا امامنا في مساله معرفه من اكثر المفاهيم ارتباطا مع رؤية المسعودي للجانب الاجتماعي وحل كان يحمل في ذهنيتة فكراً اجتماعيا دفعه للكتابة عن هذا الجانب وهذا ما فسره لنا احد الباحثين في تعريفه للفكر الاجتماعي بانه تقدم في الوضع الاجتماعي جاء نتيجة لنمو الحضاره التي اسهم في بنائها الكثير من المجتمعات عبر حقب تاريخيه مختلفة.

حتى بلغ هذا درجات عاليه من النمو والتطور العمراني والانساني وما صاحبه من ظهور منظومة فكريه من العقائد الدينية والظواهر الاجتماعية وعن الحاجة الى تفسيرها اجتماعيا ضمن ما اعرف بالمفهوم الاجتماعي.(١٢)

ومما نود الاشارة اليه في هذا الجانب ان المؤرخ (المسعودي) من أوائل المؤرخين المسلمين ان لم يكن من اكثرهم توظيفا الى هذا المفهوم في تعامله مع الكتابة التاريخية ، والا كيف ظهرت كتاباته عن تاريخ الامم المجاورة للبلاد الاسلام بهذه الموسوعية والتنوع والدقة(١٣)، ما الداع وراء هذا المؤرخ في اتباع هذا المنهج التاريخي الذي اقتضى النظر الى العالم وحده موضوعيه متكاملة لا يمكن دراسة واحده بمعزل عن الاخر ولهذا ظهرت في الحقبة التاريخية التي ظهر بها (المسعودي) كتابه عرفت بـ(التاريخ العام)(١٤)، وتاريخ البلدان(١٥)، و تبلور الفكر الجغرافي عند العديد من مؤرخي هذه الحقبة وما بعدها في البحث عن نطاق زمني وجغرافي اوسع لآفاق المعرفة التاريخية (١٦)، وهذا ما صرح به (المسعودي) في اكثر من موضع عندما تطرق لنظرية

الاقاليم السبعه[١٧]، و اثر المناخ على طبائع وتقاليد الناس [١٨] ، و اختلاف التضاريس ما بين مكان واخر واثره في الهويه الاجتماعيه لهذه المجتمعات.[١٩]

وواقعا اننا لسنا بصدد البحث عن منهجيه المسعودي وموارده في كتاباته وانما قصدنا اثبات وجود الفكر الاجتماعي عنده واثره في بلورت وصياغة وافكاره او الجماعات او الممالك في العالم ولهذا سوف يكون نقاشنا ضمن محاور انتقيناها من قسم من مؤلفاته لتكون عينات نستند عليها في رصد ومتابعه رؤيته الاجتماعية.

ثالثا الطقوس والتقاليد:

ان المتتبع لما ورد من روايات المسعودي حول الطقوس والتقاليد الخاصة بالمجتمعات سواء كانت ضمن البلاد الاسلاميه ام كانت ضمن الغرب[٢٠]، يشخص عده نقاط ذات صله بالموضوع اولها ان لا يؤمن باستكمال المعلومات عن دوله او مجتمع من جانب واحد دون الالمام قدر الامكان بعدة جوانب للوصول الى تفسير اجتماعي لظاهره ما قد استهوته ، ففي الموت وما ارتبط به من طقوس مختلفة عند الشعوب ، نجد ان المسعودي في حديثه عن مملكه البرجان[٢١]، لم يكن النطاق الجغرافي والاحوال السياسيه لهذه المملكه حدا الاهتمام بها وانما واصل حديثة عن طقوسهم الخاصه بالموت فقط ذكر انهم كانوا يحرقون الموتى و اذا كان لدى هؤلاء جواري غلمان يحرقون معه[٢٢]، ولكن الواضح عند المسعودي في متابعه لهذه المعلومه انه كان باحثا عن تفسيرا لذلك لقوله (..ويقولون نحرقهم نحن في الدنيا فلا يحرقون في الآخرة)[٢٣].

وهنا ندرك القول ان ما اشاره اليه هذا المؤرخ دل على وجود فكر اجتماعي دفعه الى طرح المعلومة والا ماذا قصد بذكر اعتقادهم في هذه الطقوس ولم يكتفي بنقلها فقط انهم يحرقون امواتهم .

وفي موضع اخر ، قدم لنا تصور لجانب اخر من هذه المملكة اختلفوا عن هؤلاء في طقوس المدفن ، اذ كانوا يقطعون يضعون امواتهم في حفره كبيره ويدفنون اغراضهم معهم ومن ضمنها زوجاتهم وخاشيتهم حتى الموت(٢٤).

وهنا وضعنا المسعودي امام صورتان مختلفتان عن طقوس الدفن في مملكة واحده وهذا الاختلاف لم يكن محض الصدفة او مجرد استعراض معلومات وانما كان ضمن رؤية اجتماعيه خاصة بالمؤرخ.

وقريبا من ذلك نجد في الطقوس والتقاليد الخاصة بالملوك في استقبال ضيوفهم او رعاياهم محورا مهماً يمكننا الاستدلال من خلاله على الفكر الاجتماعي، بعد حديثه عن الترك(٢٥)، اظهر اهتمامه بإحدى الجوانب الاجتماعية الخاصة بهم بعد استعرض طبيعه موقعهم الجغرافي والديانات السائدة لديهم ذكر ان ملوكهم لا يظهرون لعامة الناس الا في اوقات معينة من السنة واذا خرج احدهم لذلك فتوقد نار في اي مكان خاص امام رعيته ويبدا بحديث لديهم.(٢٦)

وواقعا ان المسعودي قد اظهر فكرا اجتماعيا واضحاً في رواياته عن علي الطقوس والتقاليد اعتمد المقارنة التحليل، ففي حديثه عن الصين ميز بين الطقوس الخاصة بملوكهم والاخرى الخاصة بعامة الناس واشار في حديثة الى مادل انه كان متابعاً لقوله(..ومن سنتهم انه اذا اراد خادم من خدام الملك شيئاً ضرب الجرس كبير يدخل الناس دورهم ، ويخلون له الطرقات لئلا لا يرونه . ومن سنتهم ان تقسم المدينة قسمين، فيكون الملك واهل بيته وعماله وحشمه في القسم الواحد والعامه والرعية واسواقهم في النصف الاخر..)(٢٧).

رابعا: الملابس والازياء

من المعروف من احد تعاريف الفكر الاجتماعي دل على ان الصورة في الكون او المجتمع المتكونة داخل الفرد تتحول الى مجموعة منالافكار ،[٢٨] وهذا المفهوم قد شجعنا للقول : ان المسعودي لم يغفل ما للازياء و الملابس الخاصة بالمجتمعات من اثر واضح في استطلاع الهوية الاجتماعي عن الروم،[٢٩] اعرج الى ذكر ملابسهم وازيائهم بعد ان وضع طبيعه موقعهم الجغرافي والديانات السائدة ونسبهم ولقبهم[٣٠].

فأول ما شد انتباه في هذه المسالة أزياء الملك تختلف عن ولي العهد في المحافل الرسمية يميز الملك اللون الاحمر بينما يكون اللون الاسود لولي العهد [٣١].

ومحاوله في موضع اخر انه ان يبين أهمية متابعه أزياء ملابس كل المجتمع حتى يتم الربط ما بين المعلومات ضمن سياق واحد يستهدف استكمال المعلومة ففي إحدى رواياته عن الروم ايضا قال (... انهم كانوا يلبسون القمص من فاخر الحرير وغيرها من الملونات والمنسوجات بالذهب والمنظومات بالجوهر ويلبسون التيجان...)[٣٢]

وواقعا ان المسعودي هنا قد وضعنا عدة التساؤلات؟اولها : ماذا أراد مسالة الربط ما بين الوضع الجغرافي والديني والاجتماعي لأي مجتمع في رواياته؟ لماذا لا يقتصر اهتمامه على نقطه محدده تكون محورا للبحث والمتابعة ؟

وثانيا: هل قصد ان يميز ما بين الملوك وعامه الناس في ملابسهم و أزيائهم وهذا بديهي ومعروف ولكنه طرحها في رواياته دفع القارئ الى الانتباه الى خصوصية الأزياء والملابس عنده العديد من المجتمعات .

ولا غروا ان للبحث عن تفسير هذه التساؤلات لا يكون بعيدا عنما دل عليه المسعودي في الكثير من موقع من كتاباته عن الأوضاع الاجتماعية فهو من أوائل المؤرخين الذين والملابس لربطوا مابين المناخ وطبيعة الازياء والملابس .

وهذا ما لمسناه في حديثه عن بلاد النوبه،[٣٣] فقد قدم تفسيراً واضحاً لارتداء هذه البلاد نوع من الملابس بسبب هبوب الرياح المريسيه[٣٤]، لقوله (..فاذا هبت المريسية ..ثلاثه عر يوماً تباعاً اشترى.. الاكفان وايقنوا بالوباء القاتل ... في يوم واحد يغيرون ملابسهم مراراً كثيرة فيلبسون القمص مرة والمبطنات اخرى..)[٣٥].

الخاتمة

يعد القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي حقبة التحول في الكتابة التاريخية وظهور النتاجات الموسوعية التي تجاوزت الإطار المكاني وألزماني للدولة العربية الاسلامية وسوأ الاهتمام بتاريخ واستطلاع ما لديه من جوانب وخاصة الجانب الاجتماعي وخير من مثل هذه الحقبة التاريخية مؤرخنا المسعودي صاحب الموسوعات التاريخية المعروفة بثرائها العلمي في مجال دراسة التاريخ والحضارة الأخر.

- انتهج المسعودي في مجال الكتابة التاريخية منهجاً اعتمد علي أفاق المعرفة التاريخية دون الارتكاز على دراسة مكان معين او مجتمع معين وإنما دراسته للوصول الى الحقيقة متكاملة ومتنوعة .
- امتلك المسعودي فكراً اجتماعياً ظهر واضحا في كتاباته عن الجانب الاجتماعي فقد وظف متابعه العقائد الدينية والظواهر السياسيه والجغرافيه لاي مجتمع ورد ذكره عنده في دراسة الظواهر الاجتماعية وقام متابعتها للوصول الى تفسير اجتماعي مقنع لهذه الظواهر.

- لم تقتصر رواياته على الجانب الاجتماعي في مجال واحد وإنما تعددت ما بين الطقوس والتقاليد والأزياء والملابس ولم يفرق بين الملوك العامة وإنما استهدف الاثنين في متابعه.
- تنوعت موارد المسعودي عن الأوضاع الاجتماعية ما بين المشاهد العربية والمصادر المكتوبة والمصادر والحديث والسؤال ولهذا جاءت معلوماته بهذه الموسوعية والدقة والاهميه .
- يعد المسعودي من الاوائل المؤرخين الذين أكدوا على أهميه دراسة الجانب الاجتماعي لأي مجتمع ضمن فكر اعتمد النشاط المعرفي لدى المؤرخ ورغبته في الاطلاع على ما لدى الشعوب من طقوس وتقاليد وازياء وملابس.
- تعد كتابات المسعودي مصدراً مهماً لدراسة الفكر الاجتماعي والاطلاع على الطبيعة الاجتماعية للعديد من المجتمعات داخل وخارج الدولة العربية الاسلامية .
- يعد المسعودي من اوال المؤرخين الذين بينوا اثر المناخ والتضاريس على المجتمع واثره فيما بعد في الطقوس والتقاليد والازياء والملابس.

هوامش البحث

١. مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج٢ ، ص ١٣ ص١٤ .

٢. ترحيني ، المؤرخون والتاريخ عند العرب ، ص١٤٦ –ص .

٣. لم تكن المؤلفات المسعودي مقتصره على البلاد الاسلامية وإنما تجاوزتها الى نطاق جغرافي واسع من ممالك الغرب كالبلغار والروس والفرنجه والبرجان والجلالقه فضلا عن ممالك في اقصى اسيا وافريقيا وينظر: مروج الذهب ، ج

٢ ، ص٦،ص٧ ،ص٣٦، التنبيه والاشراق،ص ٥٠ ،ص ١٠٦ ، اخبار الزمان، ص ٩٦ ،ص ٩٧ .

٤. الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ،ج٢ ،ص ١١١، الزبيدي تاج العروس ، ج٧ ص ٣٥٩ .

٥. الاشارات والتنبيهات ، ج١ ، ص١٠ .

٦. قلعجي ، معجم لغه الفقهاء ، ص ٣٤٩ .

٧. الروحاني ، زبده الاصول، ج ١، ص١٤٧.

٨. سليمان، الفكر الاجتماعي في الاسلام ، ص ٩ .

٩. المرجع نفسه ،ص ٩ .

١٠. الحسن، موسوعه علم الاجتماع ، ص ٤٨٩ .

١١. النوري والحسني ، النظريات الاجتماعية، ص ١٩ .

١٢. سليمان ، الفكر الاجتماعي ، ص ١٠ .

١٣. اظهر المسعودي في اكثر من موضوع حرصه على اعتماد الدقة والمشاهدة العينيه للبعض من موارد معلوماته .ينظر : مروج الذهب ،

١٤. البرجان ، مملكه في شمال بلاد الروم ومن اهم مدنهم السرطانية ... ينظر : الحميري، الروض المعطار ، ص ٣١٥ .

١٥. المسعودي، اخبار الزمان ، ص٩٧.

١٦. المصدر نفسه ، ص٩٧ ،ص٩٨.

١٧. الصدر نفسه والصفحة .

١٨. الترك : مصطلح يطلق على ارمينيا واسيا الصغرى واجزاء من بلاد الروم . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ٧٧٥.

١٩. المسعودي ، اخبار الزمان ، ص٩٦.

٢٠. المسعودي ، اخبار الزمان ، ص٩٥.

٢١. النوري والحسن ، النظريات والاجتماعية ، ص١٩.

٢٢. الروم : لفظ قصد به اليونان والرومان والبلاد المجاورة لها واشهر مدنهم رومية.. ينظر : ابن الفقيه ، البلدان ، ص١٨٢، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،٣ ، ص٩٨.

٢٣. المسعودي ، اخبار الزمان ، ص٩٣.

٢٤. المصدر نفسه ، ص٩٦ ، ص١٠٠ .

٢٥. المصدر نفسه ، ص٧٨ .

٢٦. بلاد النوبة : وتمثل جنوب مصر والسودان واشهر مدنهم دنقله . ينظر : النوري ، نهاية الارب ، ج١ ، ص٢١٠ .

٢٧. المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣٢٩.

٢٨. المسعودي ، اخبار الزمان ، ص٩٣.

٢٩. المصدر نفسه .

٣٠. المصدر نفسه.

٣١. المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣٣٠.

٣٢. المصدر نفسه .

٣٣. المصدر نفسه.

٣٤. المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣٣٠ – ص٣٣١ .

٣٥. المصدر نفسه .

المصادر والمراجع

اولا: المصادر

- البكري ، ابو عبيدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م)
معجم استعجم من اسماء البلاد والمواضع ،ط٣، عالم الكتب (بيروت ،١٩٨٣).
- الحميري ، محمد بن عبدالعزيز (ت : ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ هـ)
الروض المعطار في خبر الاقطار ، تع ، احسان عباس ، ط٢(بيروت ،١٩٨٤).
- الزبيدي ، محب الدين محمد مرتضى (ت: ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)
تاج العروس من جواهر القاموس ، تع ، علي شيري ، دار الفكر (بيروت ،١٩٩٤)
- ابن سينا ، ابو علي الحسين بن عبدالله (ت : ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م)
الاشارات والتنبيهات ، ط١ (قم ، د.ت)
- ابن الفقية ، ابو عبدالله احمد بن محمد (ت : ٣٤٠هـ/٩٥١ هـ)
البلدان ، تع ، يوسف الهادي ، ط١ ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٦).
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦ هـ /٩٥٧ م)
اخبار الزمان ، ط٢ ، دار الاندلس (بيروت ، ١٩٦٦)
التنبيه والاشراق ، دار صعب (بيروت ، د.ت)
مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ط٢ ، دار الهجرة (قم ، ١٩٨٤).
- التويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت : ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)
نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية (د.م ، د.ت)

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت: ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م)
معجم البلدان ، دار احبار التراث (بيروت ، ١٩٧٩)

ثانيا : المراجع

- الحسن ، احسان حمد
النظريات الاجتماعية المتقدمة ، (بغداد ، ١٩٨٣)
- سليمان ، شلال حمد
الفكر الاجتماعي في الاسلام ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (بغداد ، ٢٠٠٥ م)
- الروحاني ، محمد صادق
زبدة الاصول ، ط١ ، (ل .م ، د.ت)
- فلعجي ، محمد رواس
معجم لغة الفقهاء ، ط٢ ، (بيروت ، ١٩٨٨)
- النوري ، قيس وعبدالمنعم الحسيني
النظريات الاجتماعية ، دار الكتب (الموصل ، ١٩٨٥)